حول كتاب سيبويه

للدكتور عبد الجليل عبد الله
جامعة اليرموك ـ اربد

الذي لا خلاف عليه ، أن سيبويه لم يترك للمكتبة العربية من إنتاجه الفكري غير مصنف واحد هو الذي اشتهر باسم « الكتاب » ونال من الاهتمام والشهرة ما لم ينلها مصنف آخر لتفرده بما حوى ، وتميزه عن غيره مما صنف في موضوعه حتى أسماه الناس « قرآن النحو » (١) وصار جديرا بقوله أبي عثمان المازني حين قال : « من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي » (٢) .

ولا خلاف أيضا حول أهمية هذا الكتاب ، وجدارته بهذا الكم الهائل من الدراسات المتنوعة التي تناولته بالدرس وعالجت قضاياه بالشروح ، فظلت مادته ، وشرحت لغته وصيّرته مرجعا رئيسا للعديد من الدراسات النحوية الجادة والبحوث اللغوية الرصينة .

ولكن أهمية هذا الكتاب ومكانته المرموقة ، لا تنفيان عنه الاعتقاد بأنه لم يسلم على مر الايام من العبث ، وأن نقصا ـ لا نستطيع الآن تقديره ـ قد وقع فيه ، فأسقط منه عبارات نثرية كثيرة وشواهد شعرية أكثر ، وأضيفت اليه بدلا منها عبارات نثرية وشواهد شعرية أخرى ليست لها قوة الشواهد المُسْقَطة وأهميتها ، بل إن النسخة المتداولة الآن بين أيدينا على الرغم مما قيل عنها من أنها : « أمّ الطبعات وأبوها » (٣) ، ليست مطابقة لنسخة الكتاب الاصلية ولا للنسخة المنقولة منها ، وأن كتاب سيبويه كما كتبه بنفسه ، وكما خلّفه للعالم من بعده ما زال مجهولا عندنا بعيدا عن متداول أيدينا . وحجتنا فيما ندعيه جملة حقائق هي :

أولاً :ـ ليس في مقدمة الكتاب ما يشير الى أنه بداية له ، وليس في نهايته ما يشير الى انتهائه ، فهو مبتور البداية والنهاية . وليس مقنعا أن يقال : إن هذا الكتاب

---

(١) مراتب النحويين ص ١٠٦ .

(٢) نزهة الالباء ص ٦٣ وقد نسب هذا القول في أنباه الرواة ٢/٣٤٠ للمبرد (٢) .

(٣) بروكلمان ٢/١٣٦ وفهرس شواهد سيبويه ص ٩ .

جياء ، غايرا المألوف من مصنفات ذلك العصر ، مخالفا لمنهج التأليف الذي تعود الناس عليه اذ ذاك . إلا أن يقوم على ذلك دليل ، وتنهض بيّنة .

ثانيا : إن الجمل والعبارات التي وردت في كثير من المصنفات التي اتّكأتْ على كتاب سيبويه أو رجعت اليه ، لا تطابق بالموازنة نظائرها في النسخة التي بين أيدينا اليوم ، فالاختلاف بين العبارات كان في أكثر الاحيان صريحا بحيث يؤكد أن النسخة التي اعتمدت عليها تلك المصادر أو رجعت اليها ، ليست هي النسخة التي بين أيدينا الآن .

يضاف الى هذا أن بعض الحواشي والتعليقات التي كان يدونها دارسو الكتاب والمطلعون عليه ، قد اختلطتْ مع متن الكتاب الاصلي حتى صار من العسير التمييز بينها ، إلاّ ما تيسرت معرفته بالدليل الواضح والبيّنة الصريحة كما يبدو من قوله : « وزعم الخليل أن قولهم ظَرِيفٌ وظُرُوفٌ لم يكسّر على ظَرِيف كما أن المذاكير لم تكسّر على ذَكَر . وقال أبو عمر : أقول في ظُرُوف هو جمع ظَرُوف كُسّر على غير بنائه وليس مثل مَذاكير ، والدليل على ذلك أنك إذا صغّرت قلت ظُرَيْفة وظُرَيْفون ولا تقول ذلك في مَذاكير » (١) .

أما أبو عمر هذا ، فهو أبو عمر الجرمي وقد نصّ على ذلك صراحة أبو سعيد السيرافي في شرحه الكتاب (٢) . ولسنا نعتقد بعد هذا ، أن تعليق الجرمي هو الوحيد الذي اختلط بمتن الكتاب ، بل إن هناك تعليقات كثيرة غيره قد تسللت الى متن الكتاب وذابت في أحشائه ، ولم يمنع من التعرف عليها أو الكشف عنها إلا عدم التصريح بأسماء معاقيبها .

ثالثا : تقول المصادر : إن أبا عمر الجرمي قال : « نظرت في كتاب سيبويه

---

(١) الكتاب (بولاق) ٢/٢٠٨ ، (هارون) ٣/٦٣٦-٦٣٧ .

(٢) شرح كتاب سيبويه (بولاق) ٢/٢٠٨ .

فاذا فيه الف وخمسون بيتا ، فأما الالف فعرفت أسماء قائليها ، وأما الخمسون فلم أعرف قائليها » (١) .

وعلى الرغم من الاضطراب في رواية الخبر ، الا أن العدد في كل منها واحد . أي أن عدد الشواهد الشعرية في نسخة الجرمي من كتاب سيبويه — وهي التي أطلع عليها في عصر صاحبها — كان ألفا وخمسين بيتا من الشعر ، وهذا ما يدفعنا الى التسليم — الى حين — بأن العدد الصحيح للشواهد الشعرية في النسخة الاصلية لكتاب سيبويه هو الذي ذكره أبو عمر الجرمي .

ولكن ، كم عدد الشواهد الشعرية في نسخة الكتاب التي بين أيدينا ؟

يقول الاستاذ أحمد راتب النفاخ في مقدمة الفهرس الذي صنعه لكتاب سيبويه : « على أنني لا أستبعد أن يكون الاصل الذي نقل منه الكتاب أتم أصوله في هذا الباب وذلك أن عدة الشواهد فيه ، وقد بلغت في احصائي ستمائة وأربعين بيتا وألف بيت بالغاء المكرر ، يقارب ما أثر عن الجرمي في تعداد شواهده في كلمته المشهورة » (٢) وهذا الرقم الذي ذكره الاستاذ النفاخ ينقص عن الرقم الذي أحصيته بعد تفريغ شواهد الكتاب شاهدا واحدا ، أي أن الرقمين متطابقان تقريبا ، و ينقصان عما ذكره الجرمي في الخبر السابق شاهدين اثنين . ولا بأس في هذا ، فالفرق ضئيل ودلالته واهية .

ولكنني عثرت على عدد غير قليل من الشواهد الشعرية التي لم ترد في المصنفات التي وردت فيها بأنها من أبيات الكتاب ، وقد كان مدار اسم الالتفات الى هذه النسبة أو الاطمئنان الى أقوال أصحاب المصادر التي أوردتها ، لو أن عدد هذه الشواهد كان قليلا ، أو لو أن هذه الشواهد جاءت في مصدر أو مصدرين ، ولكنها جاءت في مصادر مختلفة كان من جلها ما سبق ، ونصت في المقام الأول لخدمة كتاب سيبويه وشرح شواهده ومسائله

---

(١) طبقات النحويين واللغويين ص ٧٥ وخزانة الأدب ١/٨ ، ١٧٨ .

(٢) فهرس شواهد سيبويه ص ٩ .

أبيات نشق بهم ونطمئن الى أمانتهم العلمية . فما دلالة هذه النسبة ؟ وماذا تعني هذه الشواهد غير القليلة التي نسبت صراحة الى الكتاب وليست فيه ، الا أن تكاثر يد العبث قد امتدت الى هذا الكتاب فأضافت اليه وحذفت منه ونسبت الى صاحبه ما هو بريء منه .

فهذا دليل ثبت بهذه الشواهد مع تعليقات أصحاب المصادر التي أوردتها .

١ ـ فَمَالِيَ إِلاَّ آلِ أَحْمَدَ شِيعَةٌ وَمَا لِيَ إِلاَّ مَشْعَبَ الحَقِّ مَشْعَبُ

ذكره ابن السيرافي في كتابه « شرح أبيات سيبويه » ١٣٣/٢ على أنه مما أنشده سيبويه في كتابه وقدمه بقوله : قال سيبويه في الاستثناء ، قال الكميت : فما لي الا آل .... الخ .

٢ ـ ... فَذَهَّبْ جِيَادِي فَأَذْهَبَ جِيَاباً يَوْماً وَأَكْفِيكَ جَانِبَا

ذكره الزمخشري في « المفصل » ص (٢٥٥) وقدمه بقوله : وسأل سيبويه الخليل عن قوله تعالى : (١)

(رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ) فقال : هذا كقول عمرو بن معديكرب : دعني فأذهب .... الخ .

وقد علق البغدادي (خزانة الأدب ٦٦٤/٣) على ما قاله الزمخشري قائلا : أقول : بيت معديكرب لم يورده سيبويه في كتابه البتة ، لا هنا ولا في موضع آخر .

٣ ـ يَبْكِيكَ نَاءٍ يَعِيدُ الدَّارِ مُغْتَرِبٌ يَا لَلْكُهُولِ وَلِلشُّبَّانِ لِلْعَجَبِ

أورده الصيمري (التبصرة والتذكرة ص ٣٥٩) في باب الاستغاثة وقدمه بقوله : « فإذا استغثت باسمين أحدهما على الآخر كسرت لامَ المعطوف لأنّ حرف العطف أزال اللَّبْس وشركَ بين الاسمين فتقول : يا لَزَيْدٍ وَلِعَمْرٍو ، بكسر اللام من عمرو ، لما بيّنا وأنشد سيبويه : يبكيك ناء بعيد ... الخ .

---

(١) المنافقون/١٠ .

٤ ــ تكادُ أواليها تَفَرَّى جلودُها ويَكْتَحِلُ الشَّالي بنُورٍ وحاصبِ

ذكره ابن جني في كتابه « المنصف » (٥٧/٢) وقدمه بقوله : وكان الخليل انما ذهب الى القلب في هذا لانه رآهم قلبوا نظيره مثل لامه صحيحة نحو قول الشاعر أنشده سيبويه : تكاد أواليها .. .

٥ ــ فَصَدَقْتُهُ وكَذَبْتُهُ والمَرْءُ يَنْفَعُهُ كَذَابُهْ

أورده الصيمري (التبصرة والتذكرة ص ١٠٢٩) في باب « من أبنية المصادر » وقدمه بقوله :

وجاء على فعال ، قالوا : كذب كِذَّاب ، وكتب كِتَّاب ، وأنشد سيبويه : فصدقته وكذبته ... الخ

٦ ــ أتيتُ مُهَاجِرِينَ فعلَّمُوني كلامَ المُسْلِمِينَ وشَرَّعُوني
وَخَطُّوا لي أباجادٍ وقالوا تَعَلَّمْ صَعْفَصٌ قُرَشِيٌّ مَكِينُ

شرحهما الاعلم الشنتمري (تحصيل عين الذهب ٣٦/٢) على أنهما مما أنشده سيبويه في باب « تسميتك الحروف بالظروف وغيرها من الاسماء » .

٧ ــ صَفِيَّةَ قُومِي وَلاَ تَعْجَزِي وبَكِّي النِّسَاءَ عَلَى حَمْزَةْ

ذكره ابن رشيق في كتاب « العمدة » (١٤٨/١) وقدمه بقوله : زعم أن سيبويه أنشد فيما يجوز تقييده واطلاقه : صفية قومي ... الخ .

٨ ــ يَارَبِّ إنْ كُنْتَ قَبِلْتَ الحَجِيجْ
فَلا يَزَالُ شَاحِجٌ يَأْتِيكَ بِجْ
أقْصَرُ نَهَّالاتٍ يُنَزِّي ويُنَسِّجْ

أورده الصيمري (التبصرة والتذكرة ص ٨٦٥ ــ ٨٦٦) في باب « ابدال الجيم » وقدمه بقوله :

وقد يبدلونها ــ أي الجيم ــ من الياء المخففة أيضا ، أنشد سيبويه : يارب ان كنت ... الخ

٩ ـ مَرُّوا عجالى فقالوا كيف سيدكم فقال مَنْ سُئِلوا: أمسى لمجهودا

شرحه العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٢/٣١٠) وعلق عليه بقوله : أقول هذا من أبيات الكتاب ولم ينسب فيه الى أحد .

١٠ ـ لأريباتك أم تملك فتيتي بيدي صغار طارفاً وتليدا

شرحه العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٤/٣٨٥) وعلق عليه بقوله : أقول : أنشده سيبويه ولم ينسبه الى أحد .

١١ ـ فما سبق الفرزدقُ من مَعَدٍّ ولكنْ مَلَغَتْ عَلماءِ غرلةُ قُنْبرِ

ذكره ابن السيرافي في كتابه (شرح أبيات الكتاب ٢/٣٧٠) والبغدادي في كتابه (خزانة الأدب ٣/١٩٦) وابن الشجري في كتابه (الامالي الشجرية ٢/٤) وابن عبد ربه في كتابه (العقد الفريد ٢/٤٨٧) وقدموه بقولهم : وأنشد سيبويه للفرزدق : فما سبق القيسي .... الخ

كما أشار الاستاذ الشنتمري في كتابه (تحصيل عين الذهب ٢/٤٢٤) الى هذا الشاهد بقوله :

هذا آخر جملة ما اشتمل عليه الكتاب من الشواهد ، وفي بعض النسخ في آخر الكتاب ، مما يحمل عن المازني أنه الفاه مثبتا فيه قول الفرزدق : فما سبق القيسي ... الخ وقد ذكر الاستاذ عبد السلام هارون (الكتاب بتحقيقه ٢/٣٦٦) ان هذا الشاهد وجد برواية : غرلة خالد بخط سيبويه نفسه عند رجل من بني هاشم يقال له عبد السلام بن جعفر .

١٢ ـ وغبراء يَعْيى لُقْمَةً قَدْ وَرَامَهَا ولاَ يَخْتَبِطُهَا الدَّهرَ إلاّ مُخَابِلُ

ذكره ابن السيرافي في كتابه (شرح أبيات الكتاب ١/١١٤) وقدمه بقوله : قال سيبويه وقال ذو الرمة : وغبراء يعيي ... الخ .

١٣ ـ فقلنا إسْلَموا إنّا أخُوكم فقَدْ بَرِئَتْ مِنَ الاحَنِ الصُّدورُ

ذكره ابن الشجري في كتابه (الامالي الشجرية ٢/٢٧ ـ ٢٨) وقد سبقه بقوله : أما قول الآخر وهو من أبيات الكتاب : فقلنا أسلموا .... الخ

١٤ ـ لَمَّا رَأَيْتُ مِلْجَرادِ عَازِرا
أخَذْتُ كُرْزِي وَدَعَوْتُ عَامِرا
لِكُلِّ عَيْسَاءَ تُمِرُّ النَّاقِرا
يَخْرُجُ مِنْهَا ذَنَباً مُحَابِرا
رِزْقٌ مِنَ الرِّزْقِ يَجِيءُ النَّاذِرا
مَنْ ذَا رَأَى مِثْلَ الجَرَادِ طَائِرا
سَرَّتْ وَسَرَّتْ بَادِياً وَحَاضِرا

أوردها ابن الانباري في كتابه (المذكر والمؤنث ص ٥٥٢) وقدمها بقوله : قال أبو هفان :
أنشدني الجرمي عن سيبويه لاعرابي : لما رأيت ملجراد .... الخ .

١٥ ـ وَخَادَعَتْ مُنِيَّةً مِنْكَ بِرَا

أورده ابن سيده الاندلسي في كتابه (المخصص ٣/٨١) وقدمه بقوله : ومثله ما أنشده سيبويه : وخادعت المنية ... الخ .

١٦ ـ مَتَى تَرِدَنْ يَوْماً سَفَارِ تَجِدْ بِهَا أَذَيْهِمَ فِي الْمُسْتَنْجِزِ الْوَعْدَ آلِفَا

أورده ابن هشام في كتابه (شرح شذور الذهب ص ٩٦) وقدمه بقوله : قال الشاعر : أنشده سيبويه : متى تردن يوما ... الخ .

١٧ ـ نَجَا سَالِمٌ والنَّفْسُ مِنْهُ مَشُوقَةٌ وَلَمْ يَنْجُ إِلَّا جَفْنَ سَيْفٍ وَمِئْزَرَا

ورد في شرح أشعار الهذليين للسكري (ص ٥٥٨) ما نصه : بخط أبي الطيب أخي الشافعي قال سيبويه : كأنه قال : نجا ولم ينج ، كما تقول : تكلم ولم يتكلم ، اذا كان كلامه خفيفا ، ونصب « جفن سيف » على الاستثناء المنقطع . اهـ

ويشير هذا التعليق ـــ كما هو واضح ـــ الى أن هذا البيت وهو من قصيدة لأبي ذؤيب الهذلي هو أحد أبيات الكتاب ، ولذا علق محقق شرح أشعار الهذليين على هذا التعليق بقوله : لم أجده ـــ يعني الشاهد ـــ في الكتاب لسيبويه المطبوع وأظنه ساقط منه .

١٨ ـــ إنَّ امرءاً غَرَّه في الدُّنيا وَاحِدة بَعْدِي وبَعْدَكِ في الدُّنيا لَمغْرورُ

شرحه العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٤٧٦/٢) وقدمه بقوله : أقول هذا البيت احتج به سيبويه ولم يعزه الى أحد .

١٩ ـــ تَرَاه إذَا دَارَ العِشَا مُتَخَنِّفاً وَيُضْحَى لَدَيهِ وهو نَصْرَانُ شَامِسُ

ذكره القرطبي في كتابه (الجامع لاحكام القرآن ٤٣٣/١) وقدمه بقوله : وقال الخليل : واحد النصارى نصري كمهري ومهارى . وأنشد سيبويه شاهدا على قوله : تراه اذا دار العشا .... الخ .

٢٠ ـــ وقَيْسُ عَيلان ومَنْ تَقَيَّسا

ذكره السهيلي في كتابه (الروض الانف ٩٩/٢) وقدمه بقوله : وأنشد سيبويه : وقيس عيلان ... الخ

٢١ ـــ تُعلِّقُ في مِثْلِ السَّواري سُيُوفَنا وما بَيْنَنَها والكعبِ غُوطٌ نَفَانِفُ

ذكره الفخر الرازي في كتابه (التفسير الكبير ١٣٢/٣) وقدمه بقوله : وأنشد سيبويه : تعلق في مثل السواري ... الخ

٢٢ ـــ لَواحِقُ الأقْرَابِ فيها كَالمَقِقْ

ذكره ابن منظور في كتابه (لسان العرب « مثل » ١٣٢/١٤) وقدمه بقوله : ونظيره ما أنشده سيبويه : لواحق الاقراب ... الخ .

٢٣ــ أما واللهِ أنْ لَو كُنْتَ حُراً ومَا بِكَ لا لِمَنْ أنتَ ولا الضَّنِينُ

أورده العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٤/٤٠٦) وعلق عليه بقوله: أنشد سيبويه ولم يعزه الى أحد .

٢٤ــ فَتوضِحَ فالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رسمها لِمَا نَسَجَتْها مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

ذكره القرطبي في كتابه (الجامع لاحكام القرآن ٣/٢٢١) وقدمه بقوله: كما أنشد سيبويه :

فتوضح فالمقراة ... الخ .

٢٥ــ عَجَائِبُ تُبْدِي الشَّيْبَ فِي قُلَلِ التَّلَلِ

أورده الصغاني في كتابه (الذيل والتكملة والصلة ٥/٤٢٤) وقدمه بقوله: وقال الجوهري :

وأنشد سيبويه : عجائب تبدي الشيب ... الخ . وقد علق الصغاني على هذا الشاهد بقوله :

ولم أجده في أبيات سيبويه ..

٢٦ــ حَلَفْتُ لها باللهِ حِلفةَ فَاجِرٍ لَنَامُوا فَمَا إنْ مِنْ حَدِيثٍ ولا صَالِ

أورده الشنقيطي في كتابه (الدرر اللوامع ١/٩٦) وعلق عليه بقوله: واستشهد سيبويه والرضي بهذا البيت ... الخ .

٢٧ــ بَيْنَما نَحنُ بالكَثِيبِ ضُحًى إذْ أتَى رَاكِبٌ عَلَى جَمَلِهِ

أورده المرزوقي في كتابه (شرح حماسة أبي تمام ص ١٧٨٤) وقدمه بقوله: واستشهد سيبويه بقوله : بينما نحن بالكثيب ... الخ .

٢٨ــ فَمَا أصْبَحَتْ عالأرْضِ نَفْسٌ فَقِيرَةٌ وَلا غَنِيُّهَا إلا سَتُلْفَى سَبِيلُهَا

أورده ابن السيرافي في كتابه (شرح أبيات سيبويه ٢/٣٤٣ــ٣٤٤) وقدمه بقوله : قال سيبويه في باب ما جاء شاذا فخففوه على ألسنتهم : ومن الشاذ فيهم في بني العنبر وبني الحارث :

بالحارث و باعنبر يعادام بنو فلان ، قال الفرزدق : فما أصبحت عالأرض ... الخ . ثم علق ابن السيرافي على هذا الشاهد بقوله : « هذا البيت يقع في بعض النسخ ، وفي بعضها لا يقع » .

٣٠ــ لِهَنْكِ مِنْ عَبْسِيَّةٍ لَوَسِيمَةٌ عَلَى هَنَواتٍ كَاذِبٍ مَنْ يَقُولُهَا

ذكره ابن فارس في كتابه (اللامات ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق جـ ٤ المجلد الثامن والأربعون ص ٧٧٣) وقدمه بقوله : وأنشد سيبويه : لهنك من عبسية ... الخ .

٣١ــ تَرَاهُ مُقَدَّ قَادَتِ الرُّفْقَةَ كَأَنَّهُ أَمَامَ الكِلَابِ مُصْغِيُ الخد أَصْلَمُ

أورده ابن الانباري في كتابه (المرتجل ص ٤٠) في فصل الاسم المعرب المفرد معلق عليه بقوله : هكذا أنشده صاحب الكتاب بالرفع .

٣٢ــ كَيْ تَجْنَحُونَ إِلَى سِلْمٍ وَمَا ثُئِرَتْ قَتْلَاكُمُ وَلَظَى الهَيْجَاءِ تَضْطَرِمُ

أورده كل من العيني في كتابه (المقاصد النحوية ٤/٣٧٨) والسيوطي في كتابه (شرح شواهد المغني ص ١٧٢) وعلقا عليه بقولهما : هو من أبيات الكتاب ولم يعز الى قائل .

٣٣ــ لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهَا لَمْ تَيْثَمِ
يَفْضُلُهَا فِي حَسَبٍ وَمَيْسِمِ

أوردهما البغدادي في كتابه (خزانة الأدب ٢/٣١١) وعلق عليهما بقوله : ... من رجز لحكم بن معية الربعي ... نسبه سيبويه في موضع آخر من كتابه .

و يفيد كلام البغدادي هذا أن سيبو يه قد استشهد بهذا الرجز مرتين في كتابه فصرح بنسبته في الاولى وأغفلها في الثانية . فاذا عدنا الى نسخة الكتاب التي بين أيدينا ، وجدنا أن سيبو يه لم يستشهد بهذا الرجز الا مرة واحدة من غير نسبة . (الكتاب ١/٣٧٥) .

٣٤ ـ أشاقتك أظعانٌ بحضرِ أبنبيم نعم بُكُراً مثلَ القسيِّ المكلَّم

أورده ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان . رسم « أبنبيم ») وقدمه بقوله : وأنشد سيبو يه لطفيل الغنوي : أشاقتك أظعان ... الخ

٣٥ ـ ..... وإنّ من شعري لقطعاً نيرها

ذكره الاعلم الشنتمري في كتابه (تحصيل عين الذهب ١/٤٧٢) وقدمه بقوله : وأنشد من بعده قول النمر : وان من خريف ... الخ .

٣٦ ـ وأتى صَواحِبُها فقُلْنَ هذا الّذي منعَ الرقادَ فلا تلومي تدلهي

أورده الصيمري في كتابه (التبصرة والتذكرة ص ٨٠٨) في باب ابدال الهاء وقدمه بقوله :

وأنشد سيبو يه : وأتى صواحبها . الخ .

٣٧ ـ عجبتُ النّاسُ وقالوا : شِعرٌ شريفٌ لا يُساوى

إنّما شِعرَى قِطَعٌ قد خُلِطَتْ بالجوهرِ

أوردها ابن عبد ربه الاندلسي في كتابه (العقد الفريد ٥/٣٠٧) وقدمها بقوله : ومن قولهم في تسكين المتحرك وقد استشهد به سيبو يه في كتابه : عجبت الناس ... الخ .

٣٨ ـ إذا فَاقِدٌ خَطْبَاء فُرْخَين رَجّعت ذكرتُ سُلَيمى في الثّنايا الكوارعِ

أورده ابن منظور في كتابه (لسان العرب « فقد » ٣٣٤/٤) وعلق عليه بقوله : قال ابن سيده :

هكذا أنشده سيبويه بتقديم خطباء على فرخين .

٣٩ ـ إذا ما تَرَعْرَعَ فِيهِمُ الغُلامُ فَسَمَّا إنْ يُقَالَ لَهُ مَنْ هُوَهْ

أورده ابن يعيش في كتابه (شرح المفصل ٨٤/٩) وقدمه بقوله : وأما « هو » من الأسماء المضمرة فإن الأكثر الوقف عليها بالهاء لبيان حركة الواو ، وذلك أن الوقف على « هو » تقول : هيه ولا تحذف منه شيئا كما تحذف من المتمكن ، قال الشاعر أنشده سيبويه : إذا ما ترعرع ... الخ .

٤٠ ـ لا يَنْفَعُ الشَّاوِي فِيهَا شَاتُه

أورده ابن جني في كتابه (التمام في تفسير أشعار هذيل ص ٦٥) وقدمه بقوله : ومما جاء في الكتاب : لا ينفع الشاوي ... الخ .

٤١ ـ فَقَالَ أَرَاهَا يَحْسِرُ الآلَ مَرَّةً فَتَبْدُو وأُخْرَى يَكْتَسِي الآلُ دونُهَا

أورده ابن السيرافي في كتابه (شرح أبيات سيبويه ١٠٧/١) وقدمه بقوله : قال سيبويه في الظروف : وقد يكون في دونها الرفع ، يريد أنه يجوز فيه النصب والرفع ، ويقع بعد هذا في الكتاب بيتان ، وقيل أنهما ليسا من الكتاب أنشد بعض أبيات ذي الرمة : فقال أراها يحسر ... الخ .

٤٢ ـ فَأَشْهَدُ عِنْدَ اللهِ أَنْ قَدْ رَأَيْتُهَا وَعِشْرُونَ مِنْهَا إِصْبَعاً مِنْ وَرَائِيَا

أورده ابن يعيش في كتابه (شرح المفصل ١٣٠/٤) وقدمه بقوله : وأنشد سيبويه لعبد بني الحسحاس : فأشهد عند الله ... الخ .

ويقول أبو جعفر النحاس : (١) « جملة أبيات كتاب سيبويه مما جمعه من

---

(١) أبو جعفر ... ص ٢٠٠

الخليل بن أحمد وأبي عمرو بن العلاء و يونس بن حبيب وأبي الخطاب وغيرهم ، ألف وخمسون بيتا منها خمسون غير منسوبة ، سألوني عن قائلها وحل مشكلاتها ولا أدخل بينهم من اعرابها » .

فاذا نحن أحصينا مجموع ما أورده النحاس في كتابه من الشواهد الشعرية ، بعد اسقاط المكرر ، لوجدناها (٧٠٦) شواهد ، ويبقى لنا من بينها (٦٨) شاهدا غير موجودة في كتاب سيبويه .

وقد نتفق مع محقق الكتاب في قوله : (١) « وأما غير القليل أعني الابيات غير الموجودة في كتاب سيبويه مما استشهد به النحاس لتوضيح قضية أو تبيين مشكلة » فقد نص النحاس نفسه على ذلك صراحة عندما علق بعض هذه الأبيات رواية عن أبي علي قطرب (٢) (ت ٢٠٦ هـ) وهو أحد تلاميذ سيبويه ، ولكن أنى لنا أن نتفق معه في بعضها الآخر وقد صدرها بالقول : أنشدني الخليل أو أنشدني الخليل و يونس (٣) ونحن نرجح أن هذه العبارات هي عبارات سيبويه في كتابه ، وان معظم ما يرويه سيبويه في كتابه كان عن الخليل بن أحمد و يونس بن حبيب .

و يبدو مقبولا أن نعد الأبيات التي جاءت في ثنايا الباب ، أراد بها النحاس لتوضيح القضايا وتبيين المشكلة ، ولكن ما رأينا من الأبيات التي افتتح النحاس بها بعض أبواب كتابه هذا ؟ ألا يعني أن يفتتح الرجل الباب من كتابه بشاهد شعري أن هذا الشاهد هو من أبيات سيبويه التي سيكون الحديث عنها ، والتي سيقوم بشرح معانيها وحل مشكلاتها كما وعد ؟

سوف نفترض أن معظم هذه الأبيات ـ ومنها التي قام الدليل عليها ـ مما استشهد به النحاس لتوضيح مشكل أبيات سيبويه فستبعد ما ، ولكن

---

(١) شرح أبيات سيبويه للنحاس ص ١٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٧٧ ، ٢٠٥ .

(٣) المصدر السابق ص ٦١ ، ٦٨ .

: منشها الآخر لا يمكن الا أن يكون من أبيات الكتاب التي شرحها النحاس فالسلطان والسفل يقولان هذا والأدلة تنهض دليلا على اثباته ، أما هذه الأبيات فهي :

٤٣ ـ فلا لغوَ ولا تأثيمَ فيها ... ومَا فَاهُوا بِهِ لَهُمُ مُقِيمُ

افتتح به النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٦١) باب « النفي والجحود » وقدمه بقوله :

تقول : لا مالَ ولا مالَ لك اذا فتحت ذهبت به مذهب النفي وصيرت شيئين شيئا واحدا ، « لا » و « الاسم » ففتحت من غير تنوين ، وأما الرفع فعلى معنى قولك : ليس مالٌ لك ، أنشدني الخليل : فلا لغو ولا تأثيم .... الخ .

٤٤ ـ تعدون عقرَ النيبِ أفضلَ مجدكم بَني ضَوطرَى لولا الكميَّ المُقنَّعا

افتتح به النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٨٧) باب « يختار فيه النصب وليس قبله منعوت » .

٤٥ ـ إنَّ الحَيَّ والقومَ الذين أتَا مِنهم ... لأهلُ مَقَامَاتٍ وشَاءٍ وجَامِلِ

افتتح به النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٦٨) باب « الحروف التي تكون عاملة في معنى مشددة » وقدمه بقوله : من ذلك : إنْ زيداً قائمٌ ، فـ « إنْ » عاملة في معنى مشددة . قال : أنشدني الخليل بن أحمد : ان الحي والقوم ... الخ .

٤٦ ـ فَلَقُونَ بن نَهْشَلٍ أمَّا نَهَارُه ... فَأغَرُّ وأمَّا لَيْلُهُ فَبَصِيرُ

افتتح به النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٦١) وقدمه بقوله : وأنشدني الخليل ، ويقال في لغة الحجر والغوريين تهامة : وأغور من نبهان ... الخ .

٤٧ ـ تَاللهِ يَبقَى على الأيَّامِ ذُو حِيَدٍ ... كَمَا أخَذَ السِّرارُ مِنَ الهِلالِ

افتتح به النحاس (شرح أبيات سيبويه ص ٤٨) باب ما يطرحه من المضاف مرة ان شئت وان شئت من المضاف اليه .

فاذا نحن أضفنا هذه الشواهد الى ما قيل إنها بلغت في كتاب سيبويه في أوثق نسخه وأتمها ، لأصبح مجموع شواهد الكتاب الشعرية (١٠٦٧) شاهدا . ونكون حينئذ أمام واحد من هذه الاحتمالات الثلاثة :

الأول : إن هذه الشواهد الشعرية الجديدة هي جزء من شواهد الكتاب ، فيكون مجموع شواهد الكتاب الشعرية (١٠٦٧) شاهدا . ويكون عندنا الاعتقاد بأن نسخة الكتاب التي بين أيدينا تنقص كثيرا من النسخة الام ولا تتطابق معها ، و يكون كلام الجرمي لا أساس له من الصحة .

الثاني : ان أصحاب المصادر والمراجع التي ذكرت هذه الشواهد ، وأكدت بأنها من أبيات الكتاب — وكلهم ثقات أفاضل — غلطوا بما يتقولون على الكتاب وصاحبه ، و ينسبون اليه ما ليس منه ، وهذا ما يزعزع الثقة بهؤلاء الاعلام و يطعن في أمانتهم العلمية .

الثالث : ان الرقم الذي ذكره أبو عمر الجرمي لشواهد الكتاب الشعرية هو الرقم الصحيح ، وان هذه الشواهد التي عثرنا عليها كانت أصلا من شواهد الكتاب الشعرية ولكنها استُبدلت مع الأيام وحلت محلها شواهد جديدة . وهذا أيضا ما يقوي الاعتقاد الذي انتهينا اليه من أن هذه النسخة التي بين أيدينا اليوم من كتاب سيبويه تنقص الكثير وأنها ليست مطابقة للنسخة الام ولا للنسخة المتداولة بينهم .

واذا كانت هذه حال النسخة التي بين أيدينا من الكتاب ، فانها ليست أفضل حالا من نُسخ السلف منه ، فقد أدركوا هم أيضا مثلنا ان زيادات قد وقعت في الكتاب ، وأن بعض شواهده الشعرية ليست كما رواه سيبويه من

شروحه سابقه في كتابه فأشاروا الى ذلك ونصوا عليه ، ومع أن أكثر هذه الشواهد ليست مما في النسخة التي بين أيدينا ، الا أن للأمر دلالته التي لا تخفى .

ويُعَدُّ كتاب شرح شواهد الكتاب للأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) ، وهو الذي أسماه «تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم مجازات العرب» من أوفى المصنفات التي خدمت كتاب سيبويه وتتبعت شواهده بالشرح والايضاح ، على الرغم من أن الاعلم الشنتمري ـــ كغيره من شراح شواهد الكتاب ـــ قد أغفل عدداً ليس قليلا من هذه الشواهد فلم يتعرض لها ، فلم يوردها في كتابه .

وإذا كان هذا الأمر مما يؤخذ عليه وقد وعد في بداية كتابه أن يتتبع هذه الشواهد على رتبة وقوعها في الكتاب ، الا أن مما يحمد له أنه نبّه الى ما وجده من اخلال الكتاب من هذه الشواهد وصرح بأسماء الذين أقحموها .

وفيما يلي نثبت بهذه الشواهد التي كانت مثبتة في النسخة التي كانت متداولة زمن الاعلم من الكتاب وجملة تعليقاته عليها :

ـــ فَبَيْنَاهُ يَشْرِي رَحْلَه قَالَ قَائِلٌ : لِمَنْ جَمَلٌ رِخْوُ المِلاطِ نَجِيبُ

أورده الاعلم في كتابه (١٤/١) وقدمه بقوله : ومما أنشده الاخفش في الباب قبل المجيز السابق : فبينما يشري رحله ... الخ .

ـــ وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إلا مُمَلَّكا أَبُـو أُمِّـهِ حَـيٌّ أَبُـوهُ يُـقَـارِبُـهْ

أورده الاعلم في كتابه (١٤/١) وقدمه بقوله : ومما أنشده الاخفش أيضا في الباب قول الفرزدق : وما مثله في الناس ... الخ .

ـــ أَتَهْجُرُ لَيْلَى بِالفِرَاقِ حَبِيبَهَا وَمَا كَانَ نَفْساً بِالفِرَاقِ تَطِيبُ

[illegible] في كتابه (١٠٨/١) وقدمه بقوله : ومما أنشد المازني في الباب [illegible] أتهجر ليلى بالفراق ... الخ .

ـ أَلَمْ يَأتِيكَ والأنْبَاء تَنْمِي بِمَا لاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ

أورد الاعلم في كتابه (١٥/١) وقدمه بقوله : ومما أنشده الاخفش في الباب لقيس بن زهير:
ألم يأتيك والأنباء ... الخ .

ـ فَزَجَجْتُهَا بِمَزَجَّةٍ زَجَّ القَلُوصَ أَبِي مَزَادَهْ

أورده الاعلم في كتابه (٨٨/١) وقدمه بقوله : ومما أنشده الاخفش في الباب : فزججتها بمزجة ... الخ .

أَرْمِي عَلَيْهَا وَهْيَ فَرْعٌ أَجْمَعُ
وَهْيَ ثَلاثٌ أَذْرُعٍ وإِصْبَعُ

أورده الاعلم في كتابه (٣٠٨/٢) وقدمه بقوله : ومما أنشده الزجاج في الباب : أرمي عليها ... الخ

ـ ثَأَرْنَا بِهَا قَتْلَى وَمَا فِي دِمَائِهَا وَفَاءٌ وَفَرَّ الشَّاءُ يَارَبَّ الشَّرَائِمِ

أورده الاعلم في كتابه (٩٤/١) وقدمه بقوله : ومما أنشده الزجاج في الباب عن المبرد للفرزدق : ثأرنا بها قتلى ... الخ

ولا أظن بعد هذا أن الجانب النثري في كتاب سيبويه أفضل حالا من الجانب الشعري ، فكما تسللت شواهد الشعر الى هذا الكتاب أو أدخلت ... فلا بد أن جملا كثيرة وعبارات أكثر قد أنتقلت أو أضيفت اليه . ومعنا في الباب آخر من الكتاب عسى أن نتابعه في المستقبل باذن الله .

الدكتور: مهنا جميل حداد

مصادر البحث ومراجعه :

- الأمالي الشجرية لابن الشجري ، حيدر أباد ١٣٤٩ هـ .
- انباه الرواة للقفطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الكتب المصرية ١٩٥٠ ــ ١٩٧٣ .
- بروكلمان ــ تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ، ترجمة : الدكتور عبد الحليم النجار ، ط ٢ القاهرة ١٩٥٩ م .
- التعريفة والمذكرة للصيمري ، تحقيق : الدكتور فتحي أحمد مصطفى ، منشورات جامعة أم القرى ١٩٨٢ م .
- تلخيص ما بين الذهبي من معدن جوهر الأدب للأعلم الشنتمري ، مطبوع بهامش خزانة سيبويه بولاق ١٣١٧ هـ .
- التمام في تفسير اشعار هذيل لابن جني ، تحقيق : أحمد ناجي القيسي وآخرين ، بغداد ١٩٦٢ م .
- الجامع لأحكام القرآن القرطبي ، دار الكتب المصرية ١٩٢٣ ــ ١٩٤٩ م . (طبعة مصورة) .
- خزانة الأدب البغدادي ، بولاق ١٢٩٩ هـ .
- الدرر اللوامع للشنقيطي ، مطبعة الجمالية بالقاهرة ١٣٢٨ هـ (طبعة مصورة) .
- الذيل والتكملة والصلة للصغاني ، تحقيق : عبد الحليم الطحاوي وآخرين ، دار الكتب المصرية ١٩٧٠ ــ ١٩٧٧ م .
- الروض الأنف للسهيلي ، نشر : عبد الرؤوف طه سعد ، القاهرة ١٩٧٣ م .
- شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ، تحقيق : الدكتور محمد علي الريح ، القاهرة ١٩٧٤ م .
- شرح أبيات سيبويه لأبي جعفر النحاس ، تحقيق : زهير غازي زاهد ، بغداد ١٩٧٤ م .

ـــ شرح أشعار الهذليين للسكري ، تحقيق : عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة بدون تاريخ .
ـــ شرح حماسة أبي تمام للمرزوقي ، تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥١ ـــ ١٩٥٣ م .
ـــ شرح شذور الذهب لابن هشام ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، (طبعة مصورة) .
ـــ شرح المفصل لابن يعيش ، مطبعة المنيرية بالقاهرة بدون تاريخ .
ـــ طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر الزبيدي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٣ م .
ـــ العمدة لابن رشيق القيرواني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ٢ ، مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٥٥ م .
ـــ العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي ، تحقيق : أحمد أمين وآخرين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٠ ـــ ١٩٦٨ م .
ـــ فهرس شواهد سيبويه ، صنعة : أحمد راتب النفاخ ، بيروت ١٩٧٠ م .
ـــ الكتاب لسيبويه بولاق ١٣١٦ هـ .
ـــ الكتاب لسيبويه ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (طبعة مصورة) .
ـــ اللامات لاحمد بن فارس ، تحقيق : شاكر الفحام ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج ٤ العدد ٤٨ لسنة ١٩٧٣ .
ـــ لسان العرب لابن منظور ، بولاق ١٣٠٠ ـــ ١٣٠٧ هـ .
ـــ المخصص لابن سيدة الاندلسي ، بولاق ١٣١٦ ـــ ١٣٢١ هـ ، (طبعة مصورة) .
ـــ المذكر والمؤنث لابن الانباري ، تحقيق : الدكتور طارق الجنابي ، بغداد ١٩٧٨ م .
ـــ مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٥٥ م .

ـ الرحيل لابن الشاب ، تحقيق : علي حيدر ، دمشق ١٩٧٢ م .
ـ معجم الادباء لياقوت الحموي ، دار صادر ببيروت (طبعة مصورة) .
ـ المفصل للزمخشري ، ط ٢ ، دار الجيل ببيروت (طبعة مصورة) .
ـ المقاصد النحوية للعيني ، مطبوع على هامش خزانة الادب للبغدادي .
ـ المنصف في شرح تصريف المازني لابن جني ، تحقيق : ابراهيم مصطفى وعبدالله أمين ، القاهرة ١٩٥٤ ـ ١٩٦٠ م .
ـ نزهة الالباء لابن الانباري ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٦٧ م .